لا تخفى أنها مصممة على سحق جميع هذه المحاولات الفاشستية والاحتفاظ بسيادتها فى البحر الأبيض المتوسط ، وتدعيم نفوذها وسيادتها حيثما يقتضى الدفاع عن امبراطوريتها الاستعمارية الشاسعة . والمسألة الاسبانية هى أول مظهر من مظاهر النضال بين السياستين ؛ فكما أن رومة تحاول أن تدفع تدخلها فى الحرب الأهلية الاسبانية إلى النهاية أو حتى يظفر الجنرال فرانكو وتقوم فى اسبانيا حكومة فاشستية تخضع لنفوذ ايطاليا ، فكذلك السياسة البريطانية تعمل على احباط هذه المحاولة بتدعيم سياسة عدم التدخل ، وعزل ايطاليا عن باقى الدول ، وإظهارها بمظهر المعتدى المهدد لسلام القارة ؛ وانكلترا تفوز فى هذه السياسة بتاييد فرنسا التى تخشى عواقب التدخل الفاشستى فى اسبانيا مثل ما تخشاه انكلترا ، وتاييد روسيا السوفيتية التى تناصر الكتلة الديموقراطية ، والتى تعاون اسبانيا الجمهورية على مقاومة الثورة الفاشستية منذ نشوبها . ومما يلاحظ أيضاً أن المانيا تبدى الآن فتورا ظاهرا فى تاييد وجهة النظر الايطالية مما يدل على أنها قد ملت التدخل فى مغامرة لاتؤمن عواقبها ؛ هذا إلى أن حوادث الحرب الاسبانية ذاتها تدل على أن الجبهة الثورية الفاشستية قد سرى إليها الضعف والوهن ، فانتصارات الجمهوريين الأخيرة حول مدريد وفشل الثوار فى جميع هجماتهم الأخيرة وما أذيع من وقوع التمرد فى بعض الوحدات الثورية فى المغرب الاسبانى ، كل ذلك يؤذن بان مصاير الحرب الاهلية تتطور فى صالح الجمهورية الاسبانية . ولنذكر أخيرا أن اتفاق عدم التدخل الذى وفقت الدول إلى عقده وتنظيمه ، سينفذ بطريقة فعلية فى أيام قلائل بحيث يغدو من المتعذر على أحد الفريقين المتحاربين أن يتلقى المدد من أى ناحية . وفى اعتقادنا أن الثورة الاسبانية التى قامت منذ الساعة الأولى بتحريض الفاشستية ومعاونتها المادية ستنهار عندئذ بسرعة ، وتحسم هذه المعركة الطاحنة بفوز الديموقراطية الأسبانية ، وبذلك يقضى على تلك العوامل الخطرة التى تلوح فى الأفق منذ أشهر مهددة سلام أوربا ، والتى كان لشهوات الفاشستية ودسائسها المضطرمة أكبر فضل فى بعثها وتغذيتها

(٥٥٥)

النفس وخلودها عند ابن سينا

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٥ —

ليس تاثر ابن سينا بافلاطون من الأمور التى تتطلب اثباتاً جديداً ، فقد فرغنا منه من قديم وأضحى واضحاً وضوحاً لا يقبل الشك . وإذا كان شيخ الأكاديمية قد استطاع أن ينفذ إلى فلاسفة الاسلام جميعاً بالرغم من تعصبهم لأرسطو فان أثره فى الأستاذ الرئيس أعمق ، وملاءمته لتفكيره أتم وأكمل . وقد بينا فيما سبق كيف قال ابن سينا بجوهرية النفس على نحو مما ذهب إليه أفلاطون . ونريد اليوم أن نوضح موقفه إزاء روحيتها ، فنهيء بذلك فرصة أخرى لاظهار ما اشتملت عليه فلسفته من نزعات وآراء أفلاطونية

ابن سينا روحى فى طبيعته ، فالتغيرات الكونية ترجع فى رأيه إلى قوى خفية تحدثها وتشرف عليها ؛ روحى فى طبه ، إذ يعتبر النفس الانسانية مهيمنة على كل الأجهزة والعصارات الجسمية ؛ روحى فى فلكه ، فانه يذهب إلى أن الأفلاك والكواكب إنما تستمد قوتها وحركتها من نفوس خاصة موكلة بها ؛ روحى فى ميتافيزيقاه ، ولا أدل على هذا من أن عالم ما وراء الطبيعة فى نظره حافل بعقول قديمة أزلية كلها تفكير ونظر وتأمل ؛ روحى أخيراً فى أبحاثه السيكلوجية ، بدليل أن النفس عنده هى كل شيء والجسم والحواس مجرد آلة لها وأداة . ونستطيع أن نقول إن فلسفته كلها تتلخص فى مذهب روحانى تتجاذب أطرافه وتتناجى نواحيه . وفيلسوف هذه نزعته لا يدخر وسعاً فى البرهنة على روحية النفس ولا يمل حديثاً كهذا ، بل على العكس يعنى به ويذهب فيه مذاهب شتى ، فيلجأ تارة إلى بعض الأفكار الرياضية مستعيناً بما فيه من لباقة ومقدرة جدلية ليحمل القارىء على التسليم بهذه الروحية . ويركن تارة أخرى إلى معلوماته الطبية

وملاحظاته السيكلوجية فيتخذ منها أدلة أخرى لا تقل عن السابق إفحاما

فيقرر أولا أن النفس جوهر يدرك المعقولات والمعانى الكلية ويشتمل عليها ؛ وجوهر هذا شانه لا يمكن أن يكون جسما أو قائماً بجسم ، ذلك لأنا إن قلنا بجسميته لزم أن تحل المعقولات فى مكان ، وهذا محال . فانها ان شغلت حيزا فاما أن يكون قابلا للقسمة أولا ، ومالا يقبل للقسمة هو تلك النقط الهندسية التى يتكون منها الخط والتى لا توجد منعزلة مطلقاً ؛ فلا يمكن أن تكون محلا لشىء ما . وعلى هذا لم يبق إلا أن تكون المعقولات حالّة فى مكان قابل للقسمة . وفى هذا الغرض أيضاً صعوبات كثيرة لا سبيل إلى تذليلها ومتناقضات لا نستطيع رفعها ، وأهمها أن الكلى يصبح قابلا للقسمة تبعاً للحيز الذى يشغله فيصير شكلا هندسياً أو كمية عددية بدل أن يكون فكرة عقلية . وإذا قلنا بقسمته فهل هو مكون من أجزاء مكررة متشابهة أو غير متشابهة ؟ إن أخذنا بالأول قادنا إلى نتيجة واضحة البطلان وهى أن يتكون الكل المتنوع المميزات من جزء واحد مكرر ؛ وإن ذهبنا إلى الثانى كان معناه أن الكلى قابل للقسمة إلى مالا نهاية ، شأنه فى هذا شان الجسم الذى حل فيه . ونحن نعلم أن الكليات وإن قسمت إلى أجناس وأنواع ينبغى أن تقف عند حد فى هذا التقسيم ، فهى فى ذاتها قابلة للقسمة إلى نهايته ، وتبعاً للحيز الذى تشغله يمكن تقسيمها عقلا إلى مالا نهاية ، وهذا تناقض صريح . على أن هناك معقولات بسيطة لا تقبل القسمة بحال فكيف تتصورها شاغلة لحيز قابل للقسمة ؟ وإذا بطل كل هذا فالجوهر الذى تحل فيه المعقولات روحانى غير موصوف بصفات الأجسام ، وهو ما نسميه النفس [1] . وواضح أن هذه النفس هى التى تجرد الكليات عن الكم والأين والوضع وتستخلصها من الجزئيات فلا يمكن أن تضعها فى حيز جديد ؛ ولن يصير الكلى كلياً ولا المعقول معقولا بالفعل إلا إذا انتزع من المكان وفهم فى ذاته بعيداً عن عوارض المادة [2]

(١) ابن سينا ، (الشفاء) ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ : (النجاة) ، ٢٨٥ - ٢٨٩ : (الاشارات) ، ١٣٠ - ١٣٢ : رسالة فى القوى النفسانية ، ٦٧-٦٩

(٢) الشفاء ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ : النجاة ، ٢٩٠ - ٢٩٢ .

هذا هو أعنف برهان يستدل به ابن سينا على روحية النفس ؛ ويظهر أنه كان معتدا به كل الاعتداد ، فإنه ساقه فى كل كتبه السيكلوجية التى وصلت الينا فى أشكال وألوان مختلفة بعضها أغمض وأعقد من بعض ؛ وربما كان أوضحها نسبيا ماجاء فى كتاب النجاة . وليس القول بأن المعقولات لا تشغل حيزا فكرة مبتكرة اهتدى اليها ابن سينا وحده ، فإنا نجدها لدى الأغريق من قديم ؛ وأرسطو بوجه خاص يفصل الكلام فى وجود الكليات مبينا أنها موجودة فى الجزئيات بالقوة وفى الذهن بالفعل . والوجود الذهنى هو الوجود الحقيق ؛ واذا كان بينه وبين الوجود الخارجى من فارق فهو أنه مجرد عن الماديات [1] . وإنا لنرى بين المسلمين كذلك الفارابى يحاول من قبل البرهنة على روحية النفس محاولة نظن أنها التى ألهمت ابن سينا برهانه الذى نحن بصدده ، فهو يلاحظ أن المعقولات تتنافى مع الحيز بطبيعتها ، وما دامت النفس تدركها وتشتمل عليها فهى جوهر مفارق للمادة [2] . بيد أن الجديد لدى ابن سينا هو ذلك الجدل المحكم والألزام المبنى على أقيسة اقترانية وقسمة ثنائية لا يلبث المرء أن يسلم أمامها بالمطلوب رضى أم لم يرض . وقد لا نستسيغ نحن الآن كثيرا هذا الطراز من الأثبات ، فانه أشبه بالمناقشة اللفظية منه بالبحث العلمى ، إلا أنه كان من مميزات القرون الوسطى عامة ، ولابن سينا بوجه خاص فيه قدرة فائقه . ومع هذا فلن نعدم الحيلة فى إنكار بعض مقدماته أو الطعن فى بعض قضاياه ، ولكنا لا نحب أن نسترسل فى أمر نعتقد أنه قليل الجدوى . ومهما يكن من شأن البرهان السابق فإنه يعتمد على مبدأ لا يزال علم النفس الحديث يقره . فإن المحدثين يفرقون بين الظاهرة الجسمية والنفسية بأن الأولى هى التى تشغل حيزا فى حين أن الثانية مجردة عن المكان ، وكل ماتقاس به هو الزمان الذى تحدث فيه . ولئن فات ابن سينا أن ينمى معلوماتنا السيكلوجية ببرهانه هذا فإنه سيعرض علينا ذلك ببراهينه التالية

(1) Aristote; de l'âme, III, 4.

(٢) الفارابى الجمع المرضية ، ٦٤ ، ٧٦ : المفارقات ، ٧ - ٨ .

كم كنا نود أن نجد السبيل الى ملاحظة النفس فى ذاتها لنقف على طبيعتها ومميزاتها . فاما ولا حيلة لنا الى ذلك فلنلجأ الى آثارها ووظائفها فان فيها خير معين على فهم كنهها . وكثيرا ما قام الأثر دليلا على المؤثر وأعانت الوظيفة على توضيح مصدرها . ومن أهم وظائف النفس وألصقها بها الادراك ؛ وانا لنلحظ فيه ظاهرة غريبة هى أن النفس تدرك ذاتها وتدرك أنها تدرك ، وفى هذا دليل قاطع على أن ادراكها مباشر وبدون واسطة . ذلك لأنها لو كانت تدرك بآلة جسدية لا نعدم كل هذا وما استطاعت أن تدرك نفسها ولا أن تكون شاعرة بإدراكها ، بل ولا أن تدرك الآلة التى تستخدمها . ويكفى أن نقارن هذا الادراك العقلى بالأدراكات الحسية أو المتصلة بالجسم لنتبين الفرق بينها . فبينما النفس تدرك ذاتها وتدرك إدراكها لا تستطيع حاسة ما من حواسنا أن تحس نفسها ولا احساسها ولا العضو الذى يوصل اليها هذا الاحساس ، اللهم إلا إن عكس اليها بمرآة ونحوها . وكذلك المخيلة لا تتخيل ذاتها ولا فعلها ولا آلتها ، وانما تتخيل أمرا خارجا عن كل ذلك . واذن تكون النفس الناطقة من طبيعة غير طبيعة هذه القوى الجسمية [1] .

وفوق ذلك فهذه القوى تتاثر بما تقوم به من مجهود . فان عظم مجهودها أو استخدمت زمنا طويلا بدا عليها التعب والاعياء وعز عليها أن تقوم بوظائفها فى دقة . فالقراءة الطويلة تضعف العينين ، والضوء الشديد قد يعشيهما فلا تكادان تبصران ، والرعد القاصف قد يصم الأذنين . وليس أثر هذه الاحساسات الشاقة بمقصور على وقتها ، فقد يبقى بعدها زمنا ، فمن أبصر ضوءا عظيما لا يبصر معه ولا عقبه ضوءا ضعيفا ، ومن سمع صوتا قويا لا يسمع معه ولا على أثره صوتا ضئيلا ، ومن ذاق طعما شديد الحلاوة لا يحس بعده خفيف الطعوم ، وعلى عكس هذا يزداد العقل نضجا كلما استخدم وقام بوظيفته ، واذا حل مسألة معقدة كان فى هذا ما يعينه على حل ما هو أعقد منها . حقا أنه قد يبدو متعبا احيانا ولكن هذا راجع الى ما يتصل به من ظروف عضوية ، فانه يستعين بالمخيلة كثيرا وهى مرتبطة بالجسم ارتباطا وثيقا [1] .

وأخيرا كل أعضاء الجسم تضعف تبعا لتقدم السن ، ويبدأ هذا الضعف عادة بعد سن الأربعين . لكن القوة الفعلية تخالف هذا تمام المخالفة ، فهى لا تكتمل إلا حين يجاوز الانسان هذه السن . يقول ابن سينا : « لاشك أن الجسم الحيوانى والآلات الحيوانية إذا استوفين سن النمو وسن الوقوف أخذن فى الذبول والتنقص وضعف القوة وكلال المنة ، وذلك عند الاناقة على الأربعين سنة . ولو كانت القوة الناطقة العاقلة قوة جسمانية آلية لكان لا يوجد أحد من الناس فى هذه السنين إلا وقد أخذت قوته هذه تنتقص ، ولكن الأمر فى أكثر الناس على خلاف هذا ، بل العادة جرت فى الأكثر أنهم يستفيدون ذكاء فى القوة العاقلة وزيادة بصيرة ؛ فاذن ليس قوام القوة النطقية بالجسم والآلة ، وإذن هى هى جوهر قائم بذاته [2] » . وأما ما يبدو من نسيان أو ضعف فى التفكير أو خطا فى الأحكام أثناء الشيخوخة فليس راجعا إلى نقص أو اضطراب فى القوة العاقلة ، وإنما مصدره مؤثرات جسمية وعضوية . وبيان ذلك أن النفس تؤدى مهمتين متباينتين ومتعارضتين تقريبا : فهى تسوس البدن وتدبر أمره ، كما تقوم بالتفكير والتعقل . وكثيرا ما عز عليها الجمع بين هذين الأمرين ؛ فيحول الحس دونها والاسترسال فى النظر والتأمل ، كما يصرفها البحث العميق ولو مدة معينة عن حاجات الطعام والشراب ، فما نظنه من ضعف التفكير أو تعطل العقل لدى الشيخ أو المريض منشؤه أن النفس قد شغلت بمهمتها الجسمية ، بدليل أنها تسترد كل قوتها العاقلة إذا مازال المرض [3] .

هذا هو مجمل البراهين التى يستدل بها ابن سينا على روحانية النفس ، وفيها من غير شك ملاحظات سيكلوجية

(١) ابن سينا ، (الشفاء) ، جـ ١ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ : النجاة ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤ : (الاشارات) ، ١٢٢ - ١٢٤ : (رسالة فى القوى النفسانية) ٦٩ - ٧٠ .

٣٩ . ٨

(١) (الشفاء) ، جـ ١ ، ص ٣٥٠ : (النجاة) ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) ابن سينا ، رسالة القوى النفسانية ، ص ٧١ .

(٣) الشفاء ، جـ ١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ : النجاة ٢٩٥ - ٢٩٧ .

جديرة بالتقدير ، فان ادراك القوة الناطقة لنفسها وإدراكها أنها تدرك أساس موضوع السفور الذى هو من أهم مباحث علم النفس الحديث ، ويمكننا أن نسلم إلى حد ما أن القوى الذهنية أقدر على تحمل المجهود من الأجهزة الجسمية . وليس بغريب على ابن سينا وهو الطبيب المعروف أن يقوم بمثل هذه الملاحظات ولا سيما وأستاذه أرسطو قد سبقه إلى بعضها ومهد له سبيل توسعها[1] . ولكن الغريب هو أن تستخدم أفكار ارسطية فى إثبات أمر لا يقف أمامه أرسطو موقفاً واضحاً ، فانه غير صريح صراحة افلاطون فى القول بفصل النفس عن البدن وتميزها عنه ، فكأن ابن سينا ببرهنته السابقة ينتصر لأفلاطون فى الوقت الذى يزعم فيه أنه يردد آراء ارسطية . واذا ما شئنا أن نحكم على هذه البرهنة فى ذاتها ، وخاصة فى جزئها الاخير ، وجدنا قيمتها موقوفة على تفسير الصلة بين الجسم والروح ، وهذا ما سنحاوله فى الفرص المقبلة ان شاء الله .

ابراهيم مدكور

(1) Aristote, (De l'âme), III. 4.

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ احمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

فى حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربى منذ نشأته إلى اليوم

فى صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

فى الأدب المقارن

الطور الفنى

فى الأدبين العربى والإنجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

مما عرف به الانسان أنه حيوان يتذوق الفن ، فحب الفن طبع فيه ، تبدو مظاهره حالما يأمن على نفسه ويتوفر له قوته وحاجاته ، فاذا ما فرغ من الضرورى من أموره التفت إلى الكمالى ، وطلب الفن والجمال ، ومن ثم تظهر بعض الفنون بدائية بين الجماعات المتبدية ، وترتقى بينها وتتنوع بقدر ماتسمح به بيئتها ودرجتها من الرقى المادى والعقلى . والرقص والموسيقى والشعر من الفنون السابقة إلى الظهور ، لقلة ما تحتاج إليه من المواد الأولية ، أما التصوير والنثر الفنى والنحت والعمارة ، فأكثر تأخراً عنها ، لما تحتاج إليه من تقدم الصناعة والمعرفة بالكتابة والاستقرار فى موطن

ومهما بلغ الشعر من التقدم فى عهد البداوة فما يزال محدود الجوانب قريب الأغوار متشابه الآثار ؛ فاذا كانت الحضارة والاستقرار والثقافة والتدوين ، اتسعت مواضيع الشعر باتساع جوانب العمران ، وبعد غوره باستفادته من العلم ، وجاد أسلوبه باستخدامه التدوين والتروى ، واتصلت الجهود فيه وتكاثر الابتكار بتوفر الوقت للتفرغ والتفنن ، وظهر بجانب الشعر أخوه الأصغر سنا وهو النثر ، وظهر بجانب الشعراء الكتاب ، وبظهور النثر يمتد مجال الأدب حتى يتاخم مجال العلم أو يتداخل وإياه ، وإذ يدون الأدب يطلع عليه أبناء الأمم الاخرى ويطلع أدباؤه على آداب تلك الأمم ، فيتأثر بها ويؤثر فيها ، بعد أن كان الشعر فى عهد البداوة معزولا لايحس به سواه ولا يعلم هو بوجود غيره ، وبتقييد الأدب يتوارثه جيل عن جيل ، ويزداد تراثه باطراد ، بعد أن كان فى عهد بداوته سريعاً إلى التلاشى فى ضباب النسيان ، لايكاد يذكر منه جيل عن أجداده إلا القليل المحرف غير المستيقن

فحين تتحضر الأمة وتتثقف ، يصح شعرها فنيا ويظهر بجانبه النثر الفنى ؛ على أن هذا يستغرق زمناً ، ولايجىء الفن إلا متأخراً عن الصناعة وعن العلم . فالانسان يعمد دائما إلى الضرورى ، حتى إذا ماقضى منه وطره تحول إلى الفن ، أو تحولت الصناعة ذات الغرض المادى إلى فن لاغرض له خارجاً عن ذاته ، وهكذا ينشأ التصوير